

## المحاضرة السابعة

### الثقافة العربية وتحديات العولمة

#### مقدمة

يسعى علماء الفكر الاجتماعي – على مستوييه النظري والتطبيقي- جاهدين إلى تخليص أعمالهم من الايدولوجيا.

وذلك على أساس أن فكرتهم الأساسية تجاه النقد الاجتماعي/ المعرفي تنصّ على محورين رئيسيين هما: مجموع القضايا والأفكار والمفاهيم التي يصوغها ويبلورها علماء الفكر الاجتماعي، وما لها من أثر على كيفية التي تظهر بها اعمالهم الفكرية من ناحية أخرى

ان مفهوم الايدولوجيا كان ذا فائدة لدى علماء الفكر الاجتماعي، الى حدّ انه أصبح مستحيلا عليهم الاستغناء عنه تقريبا. إن التصورات السائدة في نتاج فكرهم الاجتماعي حول الايدولوجيا لا تخلو أبدا من عنصر الاتهام والإدانة،

يقول أحد المفكرين الاجتماعيين « أنا صاحب فلسفة اجتماعية على أساس أن منطلقات الفكر الاجتماعي وتطبيقاته السوسيولوجية والانثروبولوجية انما يقدمان وصفا علميا لقضايا المجتمع يستند الى الموضوعية والحياد،

بينما يشير المفكر الاجتماعي الى الايدولوجي «بانه صاحب ايدولوجيا فحسب» وهو الوصف الذي قد يجعل صاحبه غارقا في المعتقدات والافكار التي تبعد به عن مسلك الحياد والموضوعية

تشير الايدولوجيا في نظر بعض المفكرين الاجتماعيين الى انها مجموعة من المعتقدات أو الأفكار المترابطة أو الاتجاهات الفكرية التي تتميز بها جماعة معينة أو مجتمع محلي بعينه وتتسم تلك الأفكار والمعتقدات بانها تتيح مجالا مشتركا من القيم والتوجهات المعرفية من أجل وحدة الوسائل وتحقيق الأهداف.

لكي تتواءم وتتطابق عمليات الفكر الاجتماعي النقدي مع الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والثقافية السائدة في اللحظات الأنية لإعادة بناء المجتمع العربي المعاصر. لا بدّ من الإشارة الى بعض المحكات أو الأبعاد الضرورية لإظهار ذلك التواءم أو تلك العلاقات ومنها:

**أولاً:** ضرورة الفهم المتكامل لطبيعة الظروف والمقومات والأبعاد المجتمعية الشاملة والتي أسهمت جميعا في صياغة بنية المجتمع العربي من جهة، وفي تشكيل وبلورة وظهور الاتجاهات الفكرية الاجتماعية النقدية من جهة ثانية

**ثانياً:** الفكر الاجتماعي ونقد الذات العربية، وهي المحاولات الفكرية الرامية الى تشخيص البناء الاجتماعي العربي السائد. يشير مفهوم الفكر الاجتماعي الى انه نشاط فكري يساير حركة الظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للمجتمع

#### أولاً : بنية الثقافة العربية

إن الثقافة العربية – رغم تواجدها التاريخي منذ زمن بعيد- قد نشأت منذ مجيء الاسلام، وانتشرت بانتشاره فشملت رقعة واسعة من العالم وضمت اليها شعوبا وأجناسا مختلفة الثقافات والمعتقدات فانصهرت ثقافاتهما في بوتقة الاسلام وثقافته.

ولكن منذ اواخر القرن التاسع عشر وحتى الآن يسعى الاستعمار جاهدا وبشتى الطرق رغم تغير مفاهيمه ومقاصده من فترة تاريخية إلى اخرى إلى تغيير بعض مفاهيم الثقافة العربية الاسلامية مثل إحلال بعض القوانين الوضعية بقصد وحدتها العالمية او الكونية، وتسلب عادات وتقاليد وقيم غربية عن الثقافة العربية الاسلامية بما يؤدي الى التأثير في ذاتية الثقافة العربية وتهديد وحدتها.

تشير وجهة النظر الانثروبولوجية ودراسات الأجناس والشعوب الى أن أصالة المكوّن الثقافي ووحده وذاتيته وتميزه، إنما يكمن في لبنات تشكيله الأولى

ومما لا شك فيه أن الثقافة العربية الاسلامية وأصالتها إنما تعود الى الدين الاسلامي الذي شكل عناصر ونسيج الثقافة في الأخلاق، والقيم، والتنشئة، والقوانين، والعادات كعادات الطعام والشراب والملبس والزواج والأفراح وغيرها من ألوان وفنون وأنشطة الحياة مختلفة.

إن أي تغيير أو تحريف في الثقافة العربية الإسلامية، يرمي إلى تهيمشها، أو إثبات عجز وظائفها إنما هو بالدليل القاطع عمل مغرض. لا يقصد من رواه سوى العمل على تفكيك وحدة الثقافة لتمثلها في ثقافة «الأخر».

### ثانياً : الثقافة العربية والعولمة :تصورات وقضايا

إن الثقافات الإنسانية درجت منذ بداية التاريخ- وكأنها تسير بدافع الفطرة أي السعي بشتى الطرق والوسائل -نحو المحافظة على تميز الذات والهوية، مما يجعلها تكتسب خصوصية تسمو بها عن سائر الثقافات، تلك الخصوصية الثقافية تجعل أعضائها يزدادون انتماءً إليها.

ومهما علت درجة تلك الثقافة تبقى في آخر الأمر جزءاً من الكيان الإنساني ذاته والذي يحرص الإنسان دوماً على حمايته. إن عولمة الثقافة بالمفهوم الدارج للوهلة الأولى قد يبدو لدى البعض «هيمنة» ثقافة معينة على ثقافة أخرى. ولكن يجب التمييز بين العولمة وأدواتها والهيمنة وأدواتها.

العولمة تستند أساساً إلى أساليب تثقيفية «ناعمة»

أما الهيمنة باتت تستخدم أدوات «القوة» والضغط المستمدة من حاجة المجتمعات والثقافات إلى الخبرات التكنولوجية والميزات الاقتصادية.

إن سيادة ثقافة معينة على ثقافة أو ثقافات أخرى بصورة مطلقة وهو أمر متعذر المنال على أرضية الواقع الثقافي مهما كانت درجة الثقافات المتلقية تواجه الثقافة العربية الآن الغزو الإعلامي/والثقافي عن طريق السماوات المفتوحة، وشبكات المعلومات العابرة للحدود والأزمنة، وتوجهات العرب نحو المساهمة في الشراكة الاقتصادية العالية المتعددة الجنسية الواحدة.

إن الثقافة العربية يجب أن تدرك تمام الإدراك أبعاد تلك العلاقات، وتتعامل معها بحسابات مدروسة مع الأمل في أن تدخل «ثقافة العولمة» من خلال ممارسة دور فاعل ودور الشريك لا دور المتلقي والمستهلك فقط إن قضية العولمة وعلاقتها بالثقافة سواء من حيث القدرة على الدمج الثقافي، أو التهميش الثقافي، أو بقاء التميز والتنوع الثقافي، مازالت تلك القضية قائمة وعسى أن تكشف السنوات المقبلة عما بها من مفارقات

أما من وجهة النظر الثقافية في تفسير مفهوم العولمة فهي نتيجة للثورات العلمية والتكنولوجية المتلاحقة وثورة «المعلومات» المتجددة، والتي تواصلت معها أطراف الكوكب المعاش بواسطة الأقمار الصناعية، والأطباق الهوائية الفضائية الناقلة للمواد الإعلامية، فضلاً عن انتشار شبكات المعلومات وتواصلها.

### وزاء هذه التحديات فمن الضروري القيام ببعض الواجبات الأساسية ومنها :

- 1- تدعيم الهوية الثقافية والوطنية دون إغلاق الأبواب أمام الثقافات الأخرى
- 2- السعي لاستخدام اللغة العربية السليمة والبسيطة في وسائل الإعلام والاتصال الجماهيري .
- 3- إيجاد توازن بين رسائل المؤسسات التي تعنى بالجوانب الثقافية والتعليمية ورسائلها التي تعنى بالترفيه والتسلية .
- 4- دعم القيم الدينية والروحية انطلاقاً من دور الدين في تاريخ العرب وتراثهم وحياتهم المعاصرة .
- 5- تحليل ونقد الرسائل الإعلامية التي تبثها وسائل الإعلام وما تحمله من قيم قد لا تتفق والقيم الدينية والروحية العربية والإسلامية أو تتعارض مع سياسات التنمية .
- 6- الحفاظ على التراث الثقافي وإثرائه بالربط بين الموروث الثقافي والإبداعات المعاصرة .

### ثالثاً : الإسلام المناضل والتحديات الحضارية

إن حيوية الإسلام التي تميز بها ولا يزال رغم ما يبدو عليه من مظاهر للتأخر أو التناحر أو التنافس، واحياناً ينعت بالتخلف، هي تلك الحيوية التي تجعل العالم الإسلامي باستمرار يقبل مبادرات التحدي والهجوم.

إن الغرب بحضارته وأيديولوجياته غرس في ابنائه من عامة و مثقفين وعسكريين روح التحدي والهجوم والتهديد، فعاشت العلاقة بعدها لقرون عديدة حالة من التآمر والتهديد والحروب والغزوات الصليبية إلى احتلال فلسطين.

فيما يلي بعض مواقف التحدي:

### أولاً: الأوروبيون والاسلام وشمال افريقيا

خرجت الحضارة الفرنسية من موطنها خلال ق 19 متجهة الى شمال افريقيا مدعومة بالقوة العسكرية المسلحة ومتخفية في ثوب التبشيرية.

1- عينت حكومة الاستعمار الفرنسي الاسقف لافيجيري في عام 1867 اسقفا للجزائر لكي يقوم بواجبه التبشيري في الجزائر ، ولكن رغم كل ما خصصوه له لم يتحول الا عدد قليل من المسلمين عن عقيدتهم.

### ثانياً: الاسلام وجنوب السودان:

لا تقل التحديات الحضارية التي تطرقت الى مجال الدين والعقيدة في جنوب السودان، والتي مارستها سلطات الاستعمار الانجليزي عن سابقتها التي مارستها التحديات الحضارية الفرنسية من تحت رداء الارساليات التبشيرية في شمال افريقيا. إن الجهود المشتركة افلحت في جعل السودان الجنوبي الى حد ما مسيحيا معاديا للاسلام ساعد ذلك على تحويل السودان الجنوبي على يد الاستعمار الانجليزي منذ عام 1922 الى منطقة مغلقة.

منع الاستعمار الانجليزي استخدام اللغة العربية في المدارس والتعليم بجنوب السودان وتم منع الاستعمار المسلمين من اداء شعائهم الدينية علانية ورغم أن تلك القيود قد ظلت مطبقة منذ اوائل القرن العشرين، الا انها لم تنته الا بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، ورغم انتهاء العمل بها رسميا الا انها خلقت حالة غير مستقرة غرسها الاستعمار الانجليزي.

اما جهود تحويل المسلمين عن عقيدتهم فهي لم تفلح وفشلت في استغلال الدين واقحامه في بؤرة الصراع الحضاري. لم تكن سياسة التحدي الحضاري التي يتخذها الغرب وسيلة في محاربة الاسلام والثقافة العربية لم تكن وليدة عصر بعينه منذ ان نهض الاسلام في الاندلس نهضته القوية تشكلت لدى الأوروبيين بوادر الشك والريبة والسعي الى محاربة ذلك المارد القادم من الشرق

لم يكن موقف الاسلام في أقصى الأطراف الشرقية من العالم كجزر الهند الشرقية واندونيسيا أحسن حالا من غربها فقد عمد الاستعمار الهولندي الى محاربة ما أسماه « فيروس الاسلام المناضل» الذي ينتقل إلى الاندونسيين خلال موسم الحج عن طريق اتصالهم بغيرهم من المسلمين.

وفي عام 1825 وبعد أن فشلت حكومة الاستعمار الهولندي في تخفيض عدد الحجاج الاندونسيين اتجهت الى فرض رسوم مبالغ فيها على كل حاج . ورغم كل ذلك تزايدت أعداد الحجاج الاندونسيين مما دفع الهولنديين الى وضع قيود أشد عنفا وقسوة سنة 1859 إن النظرة الضيقة التي ينظر به الغرب الى الاسلام وتشويه صورته وربطها بالمظاهر السلبية كالعنف والارهاب ودونية مكانة المرأة، ولصق تلك الصور المسيئة بالمسلمين دون غيرهم، جعلتهم يتناسون أن:

الاسلام هو أسلوب متكامل للحياة له تأثيره في كافة جوانب الوجود الانساني.

الاسلام يقود حركات الانسان وأنشطته ويوجهها في كل أبعادها الفردية والجماعية والمادية والمعنوية سواء كانت أخلاقية ام قانونية أم ثقافية، فالاسلام بهذه الصورة ثقافة وحضارة معا الاسلام هو نظام متكامل وطريقة حياة تبدأ بقواعد النظافة الشخصية وتوجيهات المأكل والملبس مروراً بالعبادة وأسلوب الحكم والادارة وانتهاء بقواعد الحياة الأسرية وتنظيم المواريث الاسلام بذلك دين ودولة ولكل مسلم ان يفخر بذلك لأنها مسائل لا تتوفر في غيره من الشرائع

### اسئلة المحاضرة

#### السؤال الاول:

((تسعى الثقافة العربية الى المحافظة على تميز الذات والهوية، مما يجعلها تكتسب خصوصية تنمو بها عن سائر الثقافات))

اشرحي / اشرح العبارة السابقة بالتفصيل